مراجعات الكتب:

علم نفس

سيكولوجية الذاكرة الدلالية والأحداث الشخصية في ضوء نظرية معالجة المعلومات

تأليف: أمثال هادي الحويلة
الناشر: البراك للطباعة والنشر – القاهرة: 2009، 253 صفحة
عرض: فاطمة سلامة عياد*

يتناول كتاب سيكولوجية الذاكرة الدلالية والأحداث الشخصية موضوعاً شديد الحساسية والأهمية في ميدان علم النفس، ألا وهو الذاكرة التي تعد عنصراً ومكوناً أساسياً للذكاء أو القدرات العقلية الإنسانية.

ويميز الكتاب بين نوعين من الذاكرة: الذاكرة الدلالية أو ما يعرف بذاكرة المعاني وذاكرة الأحداث الشخصية. وقد أشار الكتاب إلى أنهما بمنزلة القلب من جسد علم النفس المعرفي المعاصر. ويقع الكتاب في (253) صفحة من القطع المتوسط موزعة على سبعة فصول، ثلاثة منها نظرية والأربعة الأخرى هي بحث علمي تطبيقي يهدف إلى تعرف مدى التغيير في الذاكرة الدلالية وذاكرة الأحداث الشخصية من حيث ما تتلقيان من نوع المعلومات والمعرفة، وطرق تلقيهما، ومدى تأثير تلك المعلومات والمعارف في كفاءة أداء الذاكرة الدلالية والأحداث الشخصية.

وقد قدمت المؤلفة تعريفاً للذاكرتين ووظائفهما، مميزة بينهما، عارضة لأوجه الشبه والاختلاف بينهما. كما يتضمن الكتاب بحثاً علمياً عن علاقة كل من الذاكرة الدلالية وذاكرة الأحداث الشخصية والمتغيرات المستقلة القادرة على التنبؤ بكفاءة

* قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، دولة الكويت.

الذاكرتين، بالإضافة إلى عرض للدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، ثم النتائج التي توصلت إليها، ومناقشة تلك النتائج.

ففي **الفصل الأول** تتحدث الكاتبة عن مفهوم الذاكرة الدلالية وتعريفاتها المختلفة من وجهة نظر العلماء الذين قدموا تعريفاً لهذا المفهوم. فالذاكرة الدلالية من وجهة نظر «روبرت سولو» هي ما يتم به تذكر الكلمات والمفاهيم والقواعد والأفكار المجردة، وإنها لذلك مهمة لاستخدام اللغة.

أما تولفنج فيرى أن الذاكرة الدلالية بمنزلة موسوعة عقلية تنظم المعلومات التي يقوم بمعالجتها باستخدام الكلمات والرموز اللفظية ومعانيها، والعلاقات فيما بينها، والقواعد التي تحكمها، والصيغ التي تتبدى فيها، واللازمة جميعاً لمعالجة تلك الرموز والمفاهيم والعلاقات. ومن هنا فالذاكرة الدلالية ليست تسجيلاً لخصائص المدخلات التي يمكن إدراكها عقلياً أو حسياً بل هي مراجع معرفية للإشارات التي تمثل مدخلات رمزية فيها.

ويعرف كورسيني الذاكرة الدلالية بأنها كل ما يختص بالمعرفة العامة للحقائق والمفاهيم والمعلومات غير المرتبطة بمكان أو زمان.

أما أمثال الحويلة فتعرفها على أنها الوظيفة المعرفية التي يتم عن طريقها استرجاع الفرد للرموز والكلمات والمفاهيم والقواعد والمبادئ من الأفكار المجردة واللغة بهدف حل مختلف المشكلات التي تواجه، وتحقق التكيف والتوافق في حياته بصفة عامة، ولا تختص بما هو شخصي للفرد فقط بل بالعالم من حوله.

وتبرز أهمية الذاكرة الدلالية - كما عرضتها المؤلفة - في أنها تعمل على زيادة التعلم وديمومته؛ حيث إن لها علاقة قوية بالمفاهيم والأفكار التي ترتبط بدورها بالكلمات.

ومن ثم يمكن تطبيقها في المجالات التربوية والتعليمية، وذلك بتوجيه اهتمام الطلاب إلى استقبال المادة المتعلمة ومعالجتها عند مستوى أعمق من التفكير خاصة أن التعلم عبارة عن بنية معرفية.

ثم يعرض الفصل لكيفية قياس الذاكرة الدلالية اعتماداً على معالجة المعاني والدلالات وتخزينها، كذلك قياس مكونات الذاكرة اللفظية والبصرية مميزة بين فئتين من الاختبارات التي تقيس الذاكرة الدلالية: مثل:

أ - اختبارات تقيس المكون اللفظي للذاكرة الدلالية: مثل اختبارات الكلمات

المتشابهة وفقاً للإيقاع الصوتي، وفيها يطلب من الفرد استرجاع بعض الكلمات المتشابهة معاً، مثل: ينطلق ويتعلق، اختبار استدعاء القصة واختبارات الترابط اللفظي وغيرها.

ب - اختبارات تقيس المكون البصري للذاكرة الدلالية: مثل اختبارات التسلسل غير اللفظي واختبارات الخرائط المعرفية والاتجاهات المكانية والصور المتشابهة وغيرها.

أما **الفصل الثاني** من الكتاب فيركز على مفهوم أو نوع آخر للذاكرة، وهو ما أطلق عليه ذاكرة الأحداث الشخصية، عارضاً للتعريفات المختلفة لهذا المفهوم من وجهة نظر تولفينج الذي اعتبر أول من عرف ذاكرة الأحداث الشخصية بأنها ذاكرة حديثة، تعمل تحت وعي الفرد، وتتكون من تجاربه وخبراته الحياتية، وتختص بالأمور الشخصية وتمتد خلفيتها إلى الماضي على شكل ذكريات، وتستشرف آفاق المستقبل للتخطيط له والإعداد لإنجاحه.

أما سولو فقد عرفها على أنها الذاكرة التي تستقبل المعلومات عن الوقائع والأحداث المؤقتة والعارضة، والعلاقة بين الأحداث والوقائع والأماكن التي تحدث فيها. أما مريم سليم فقد عرفت ذاكرة الأحداث الشخصية من خلال الوظائف التي تؤديها تلك الذاكرة؛ إذ قالت: إن ذاكرة الأحداث الشخصية هي تذكر الفرد للأحداث بتفاصيلها كما وقعت، كأن يتذكر الحادث والشارع الذي وقع فيه، وإن ذلك يتم بتخزين الحدث في شكل صور ذهنية؛ بمعنى أن الإنسان يحتفظ بصورة ذهنية للحدث كما وقع، وتكون طبيعتها بصرية، لها بطانة وجدانية أو انفعالية. أما مؤلفة الكتاب فتعرف ذاكرة الأحداث الشخصية على أنها الوظيفة المعرفية التي تختص باستقبال المعلومات المرتبطة بالأحداث التي تقع أمام الفرد سواء كانت أحداثاً عامة أم شخصية، تمثل فيما بعد ذكريات خاصة أو سلسلة من الأحداث الماضية، وتتخذ شكل السيرة الذاتية، وتقوم بتخزينها واسترجاعها عند الحاجة إليها.

كذلك بين الفصل العلاقة بين ذاكرة الأحداث الشخصية والتعلم؛ حيث ثبت أن خبرات الفرد الماضية وتوقعه لمستقبله كما أن مواقف التعلم تستعين بالتجارب الشخصية أكثر من الجماعية، وأكدت جوديث ومارتن وغيرهما أن تقديم المعلومات بصورة مجسدة تساعد على كفاءة الطلاب في استرجاع المعلومات الشخصية، كما

أن الذكريات الشخصية المرتبطة بالمحاضرات تؤدي دوراً وسيطاً في الاحتفاظ بالمعلومات التي جاءت في المحاضرة والتي يتم تعزيزها في النهاية.

وبالإضافة لذلك فقد بينت الدراسات أن الطلبة الذين تقدم لهم المحاضرات بربطها بذكرياتهم الخاصة يحتفظون بالمعلومات ويسترجعونها بصورة أفضل من الطلبة الذين تقدم لهم المحاضرات بصورة لفظية. وبصورة عامة يمكن القول: إن تقدم المعلومات بصورة مجسدة وربطها بالأحداث الشخصية يساعد على استيعاب المعلومات والاحتفاظ بها واسترجاعها.

ثم تطرق الفصل إلى العلاقة بين ذاكرة الأحداث الشخصية ووظائف القشرة الدماغية، كذلك طرق قياس ذاكرة الأحداث الشخصية التي صنفها إلى ثلاثة أنواع هي:

أ – طريقة التوزيع والتصنيف: وحسب هذه الطريقة يقوم الباحث بتقديم قائمة مكونة من 75 كلمة للمفحوص، وكل منها عبارة عن مثير يستدعي ذكريات السيرة الذاتية، ثم يقوم بتسجيل الزمن الذي ينقضي بين تقديم المثير والاستجابة، وبعد ذلك يسجل مضمون تلك الاستجابات.

ب – طريقة زمن الرجع: وحسب هذه الطريقة يقدم للمفحوص قائمة مكونة من 48 كلمة، ويطلب منه أن يتذكر الخبرات التي مر بها في حياته، والتي تستند إليها تلك الكلمات وتذكره بها.

ج – طريقة الملاحظة بالمشاركة: وتركز هذه الطريقة على درجة اكتمال المعلومات المتذكرة ودقتها.

ولقد تبين من الطرق الثلاث السابقة أن ذكريات الأحداث الشخصية منظمة وفقاً لفترات زمنية مستقلة كالتقويم الدراسي، وأن كل فترة من تلك الفترات مرتبطة بخبرات معينة، كذلك فإن الخبرات الجديدة والمرتبطة بحالات انفعالية تمثل الذكريات الذاتية الأكثر وضوحاً.

أما **الفصل الثالث** فيركز على العلاقة بين الذاكرة الدلالية وذاكرة الأحداث الشخصية مبيناً أوجه الشبه والاختلاف بينهما.

ومن أوجه الشبه بين الذاكرتين العمليات المعرفية التي تقوم فيهما بتوفير المعلومات، والقدرة على التعامل مع تجارب متعددة واستقبال المعلومات لتخزينها من خلال وسائل حسية مختلفة ومصادر داخلية أخرى، كما أن المعلومات في كلا

النظامين جاهزة للاستبطان، وأنه يمكن الحصول عليها في كل منهما بمرونة وبطرق استرجاع المعلومات المعروفة. أما الاختلاف بين الذاكرتين فيتمثل في وظيفة كل منهما؛ ففي الوقت الذي تعنى فيه ذاكرة الأحداث الشخصية بالتذكر فقط تعنى الذاكرة الدلالية بالمعرفة والتذكر معاً.

وفي هذا المجال تذكر الباحثة ثماني نقاط للاختلاف مثل:

1 – تعنى ذاكرة الأحداث الشخصية بالتذكر في حين تعنى الذاكرة الدلالية بالتعرف والتذكر معاً.

2 – تأخذ ذاكرة الأحداث الشخصية صورة الانتقال الذهني أما الذاكرة الدلالية فتأخذ صورة التفكير.

3 – تعتمد ذاكرة الأحداث الشخصية على الأحداث التي وقعت بالماضي القريب، في حين لا ترتبط الذاكرة الدلالية بذلك.

4 – يكتسب الإنسان قدرة الذاكرة الدلالية بشكل مبكر جداً عن امتلاكه قدرة (ذاكرة الأحداث الشخصية).

5 – تختفي ذاكرة الأحداث الشخصية بتذكر الأحداث الماضية أما الذاكرة الدلالية فهي خاصة بالوقت الراهن.

6 – تتضمن ذاكرة الأحداث الشخصية حالة من الوعي الذاتي، وهو أمر لايتوافر للذاكرة الدلالية.

7 – تتضمن ذاكرة الأحداث الشخصية الشعور بالألفة والعواطف والانفعالات، وهو لا يتوافر للذاكرة الدلالية.

8 – ذاكرة المعاني أو الذاكرة الدلالية أكثر ثباتاً وديمومة من ذاكرة الأحداث الشخصية التي تعتبر أكثر عرضة للنسيان.

ويعرض **الفصل الرابع** من الكتاب للدراسات السابقة التي تناولت موضوع سيكولوجية الذاكرة مصنفة إياها إلى ثلاث فئات:

أ – دراسات تناولت معالجة المعلومات وعلاقتها بالذاكرة الدلالية.

ب – دراسات تناولت معالجة المعلومات وعلاقتها بذاكرة الأحداث الشخصية.

ج – دراسات تناولت معالجة المعلومات وعلاقتها بالذاكرتين.

وفي تعليق للباحثة على الدراسات السابقة تشير إلى ندرة الدراسات العربية

في هذا المجال. كما أن الدراسات التي أجريت - العربية وغير العربية - لم تتمتع بدرجة كافية في الضبط التجريبي بالإضافة إلى أن طبيعة ومواصفات الأدوات السيكولوجية المستخدمة في تلك الدراسات لم تكن واضحة.

أما أهم ما يمكن استخلاصه من تلك الدراسات فهو زيادة كفاءة الذاكرة الدلالية عندما تقدم المعلومات بصورة لفظية وأن تلك الكفاءة تزداد أيضاً إذا قدمت تلك المعلومات على هيئة صور أو أشكال أكثر منها فيما لو قدمت بصورة صوتية، والعكس صحيح بالنسبة لذاكرة الأحداث الشخصية، كما أن الذاكرة الدلالية تزداد كفاءة عندما تكون المعلومات ذات مضمون انفعالي وجداني إلا أن الأمر سيان بالنسبة لذاكرة الأحداث الشخصية.

كما تبين أنه لا توجد فروق بين الجنسين في كلتا الذاكرتين بغض النظر عن نوع المعلومات وطبيعتها أو طرق تقديمها.

وسيجد القارئ أن الباحثة استندت إلى مراجع وأبحاث علمية موثقة ومنشورة في مجالات علمية محكمة فضلاً عن حداثة تلك المراجع ومواكبتها للتطورات والأبحاث الأخيرة في المجال، وفي نهاية الفصل تقوم الباحثة بالتعقيب على الدراسات السابقة وربطها بدراساتها موضحة نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما، كذلك جوانب القصور في تلك الدراسات.

ويتضمن **الفصل الخامس** من الكتاب وصفاً لإجراءات الدراسة وفروضها موضحة أن هدف الدراسة هو تحديد مدى التغيير في كفاءة الذاكرة الدلالية وذاكرة الأحداث الشخصية بنوع المعلومات التي يتعرض لها أو يتلقاها وبطريقة تلقيه لها.

أما أهم المشكلات التي حاولت الدراسة الإجابة عنها فكانت:

1 - أي الذاكرتين أكثر كفاءة، ذاكرة الأحداث الشخصية أم الذاكرة الدلالية، في نوع المعلومات اللفظية والشكلية؟

2 - أهناك فرق في درجة كفاءة الذاكرتين إذا ما كانت المعلومات المقدمة شكلية أم لفظية؟

3 - هل تختلف كفاءة الذاكرتين في المعلومات اللفظية إذا قدمت سمعياً عنها لو قدمت بصرياً.

4 – هل تختلف كفاءة أداء الذاكرتين باختلاف مضمون المعلومات المقدمة، وما إذا كانت ذات شحنة انفعالية مؤثرة وجدانياً أو محايدة؟

ويتضمن الفصل الخامس وصفاً لمنهج الدراسة، وهو منهج تجريبي التزم في إجراءاته قواعد الضبط التجريبي، وطبق فيه التصميم العاملي داخل الأفراد وبين المجموعات التجريبية باستخدام المشاركين أنفسهم.

أما عينات الدراسات فقد ضمت ثلاث عينات:

أ – عينة الدراسة التمهيدية.

ب – عينة الدراسة الاستطلاعية.

ج – عينة الدراسة الأساسية أو التجربة الأساسية.

وكانت كل عينة مكونة من مجموعتين: ذكور وإناث.

وسوف نقدم وصفاً أكثر تفصيلاً لعينة الدراسة الأساسية؛ فقد تكونت من 400 طالب وطالبة من جميع التخصصات في جامعة الكويت، اختيروا بحيث يكون هناك 100 طالب وطالبة من كل مستوى من الأول إلى الرابع، وكانوا بواقع 200 من الإناث و200 من الذكور، مع مراعاة ضبط كل المتغيرات التي من شأنها التأثير على النتائج مثل العمر والحالة الاجتماعية والاقتصادية والجنس والذكاء والمستوى التعليمي. كذلك استخدم اختبار قصير لتقييم الحالة الانفعالية والعقلية لأفراد العينة؛ وذلك لاستبعاد الطلاب الذين يعانون اضطرابات نفسية أو عقلية كما يعتمد الطلبة الذين يعانون عمى الألوان؛ حيث إن جزءاً كبيراً من اختبارات الدراسة يعتمد على عرض المثيرات بصورة بصرية، ويعتمد على اختلاف الألوان. كما استخدم اختبار لتقييم القدرة على التركيز والانتباه لدى أفراد العينة.

الأدوات المستخدمة في البحث:

استخدمت الباحثة أربع فئات من الاختبارات تكونت من ستة عشر اختباراً، قامت بإعدادها على هيئة بطارية اختبارات لقياس الذاكرة الدلالية وذاكرة الأحداث الشخصية. كما قامت الباحثة بحساب ثبات اختبارات الدراسة بطريقة الاتساق الداخلي وطريقة إعادة الاختبارات بالإضافة إلى طريقة التجزئة النصفية.

وكانت معاملات ثبات الاختبارات بطريقة الاتساق الداخلي 0.76 إلى 0.89 بالنسبة للذكور و 0.68 إلى 0.85 لعينة الإناث، أما إعادة الاختبارات فقد بين أن ثبات

الاختبار راوح بين 0.064 – 0.9 للذكور، 0.88 لعينة الإناث، أما ثبات الاختبارات بحسب طريقة التجزئة النصفية فكانت نسبته0.68 – 0.94 للذكور، 0.67 – 0.90 للإناث. وتمتعت الاختبارات بدرجة مقبولة من الصدق بحسب طريقة صدق المحكمين وصدق المحك.

أما الأساليب الإحصائية المستخدمة فهي معامل ارتباط بيرسون لوصف قوة العلاقة بين متغيرات الدراسة واتجاه ذلك الارتباط، وللتوصل إلى الفرق بين متغيرات متوسط المجموعتين التجريبيتين استخدمت الباحثة اختبار «ت»، كذلك استخدمت تحليل الأغدار المعتدل – للتنبؤ بكفاءة الذاكرتين ولتقييم الإسهام النسبي لكل متغير على حدة. كذلك أسلوب تحليل التباين المتعدد؛ وذلك لتحديد التباين داخل المجموعات وبينها. وبشكل عام فإن أدوات جمع البيانات وكذلك أساليب التحليل الإحصائي المستخدمة مناسبة جداً لأغراض البحث.

أما النتائج التي توصلت إليها الباحثة، فهي التي شكلت موضوع **الفصل السادس**، ويمكن إجمالها بما يلي:

أولاً : النتائج المتعلقة بالذاكرة الدلالية أو ذاكرة المعاني:

أ – هناك تأثير لطبيعة المعلومة المقدمة وطريقة تقديمها (بصري أو سمعي) ومضمونها في القدرة على الاستدعاء والتذكر عند الذكور والإناث كل على حدة والعينة الكلية.

ب – عدم وجود تأثير على طبيعة المعلومة ونوعها وطريقة تقديمها ومضمونها في القدرة على تصنيف الصور أو تحديد أماكن الأشياء لدى أي من الذكور أو الإناث أو العينة الكلية.

ج – هناك تأثير لطبيعة المعلومات وطريقة تقديمها في القدرة على تذكر القصص لدى كل من الإناث والذكور، ولكن مضمون تلك المعلومات لم يكن له مثل هذا التأثير.

د – يؤثر نوع المعلومات ومضمونها وكيفية تقديمها في تذكر المواقف والأحداث لدى أفراد العينة من الذكور والإناث على السواء.

هـ – تؤثر طبيعة المعلومات ومضمونها وطريقة تقديمها في القدرة على التعرف البصري لدى جميع أفراد العينة دون تمييز ذكوراً أو إناثاً.

ثانياً: النتائج المرتبطة بذاكرة الأحداث الشخصية:

1 – يؤثر مضمون المعلومات في ذاكرة الأحداث الشخصية لدى أفراد العينة إلا أن نوع المعلومات وطريقة تقديمها لا يملكان مثل هذا التأثير.

2 – يؤثر نوع المعلومات وطريقة تقديمها ومضمونها في القدرة على تذكر الأحداث الشخصية لدى أفراد العينة.

3 – يؤثر نوع المعلومات وطريقة تقديمها في القدرة على تعرف الصورة لذاكرة الأحداث الشخصية عند الإناث فقط؛ بينما تؤثر نوع المعلومة في تعرف الصور لذاكرة الأحداث الشخصية لدى الذكور أما طريقة المعلومات أو مضمونها فليس لها مثل هذا التأثير لدى الذكور.

4 – يؤثر نوع المعلومة وطريقة تقديمها ومضمونها في القدرة على تذكر أماكن الأشياء لذاكرة الأحداث الشخصية عند الإناث وليس الذكور.

5 – يؤثر نوع المعلومة ومضمونها وطريقة تقديمها بصورة كبيرة في القدرة على تصنيف الصور لذاكرة الأحداث الشخصية لدى جميع أفراد العينة ذكوراً وإناثاً.

أما **الفصل السابع** فيتضمن تلخيصاً ومناقشة لنتائج البحث لمعرفة أكثر المتغيرات قدرة على التنبؤ بكفاءة الذاكرة الدلالية وذاكرة الأحداث الشخصية أهو مضمون الألفاظ أم طريقة تقديمها أم معناها؟ ومدى تأثير الشحنة الانفعالية الوجدانية للمثيرات في القدرة على الاسترجاع، كذلك الأمر بذاكرة الأحداث الشخصية. وقامت الباحثة بربط نتائج بحثها بتغيرات على النفس التجريبي والمعرفي.

والكتاب بشكل عام يطرح قضية دقيقة من قضايا علم النفس المعرفي، وهو بهذا يشكل إضافة لمكتبة علم النفس العربي، وعليه فإننا ندعو طلبة علم النفس وغيرهم من المهتمين بالمجال إلى الاستفادة من هذا الكتاب ومن نتائج الدراسة التي احتوى عليها خاصة في الجانب التطبيقي. وعلى الرغم من أن الكتاب لم يستطع أن يلم بجميع جوانب سيكولوجية الذاكرة خاصة لدى الفئات الإنسانية المرضية والمضطربة فإن ذلك لا يقلل من قيمته العلمية، بل إن الكتاب أسهم في فتح مجالات جديدة للبحث في موضوع الذاكرة الدلالية وفي طرح تساؤلات جديدة من شأن الإجابة عنها أن تثري الميدان البالغ التعقيد والحساسية.